**تاريخ المساجد الشهيرة**

**المسجد الحرام**

**عبدالله سالم نجيبمنارات الهدى في الأرض**

***مقدمة:***

**المساجد منارات الهدى في الأرض لبني البشر، ويكفيها شرفاً ومنزلة أن الله سبحانه وتعالى أضافها إلى نفسه وذاته العلية، ليكتسب بنّاؤها وعمّارها عظيم ثناء الله عليهم، ويوصف ـ من وجه آخر ـ خرّابها وهدّامها بأشنع الصفات وأقبحها.**

**قال الله تعالى مادحاً الأولين :{ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين } التوبة/18، وقال سبحانه ذاماً الآخرين { ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين، لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم }. البقرة/144.**

**وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " المساجد بيوت الله تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض ".**

**وقد أولى القرآن الكريم للمساجد عناية كبيرة من وجود شيء حتى تكرر ذكر المسجد أو المساجد والمسجد الحرام بألفاظها فيه ثانياً وعشرين مرة إضافة إلى ورود الإشارة إلى البيت الحرام ـ وهو أبو المساجد وأولها ـ بلفظ سبع عشرة مرة كما وردت الإشارة إلى المساجد بلفظ البيوت مرة واحدة .**

**المساجد ...أهداف وآداب**

**وإذا كان المسجد - من حيث الإشتقاق اللغوي - يرجع إلى مادة سجد ،التي يصرفها**

**القرآن حصراً على وجه التعظيم والعبادة بالسجود لله، وإذا كان الهدف الأساسي والمقصد الوحيد لخلق الانسان ـ كما صرح به القرآن ـ هو عبادة الله في قوله سبحانه { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } ... إذاً كان هذا وذاك ...عرفنا الارتباط الوثيق بين أعظم هدف لخلق الانسان وأعظم مكان لممارسة ذلك الهدف في صورته الدينية السامية الراقية... فما المساجد إلا الأماكن التي بنيت لتوحيد الله والصلاة له وذكره ودعائه ودعوة الخلق إليه { في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله }. النور/36 ـ 38 .**

**والمساجد كذلك أماكن لإقامة الوجوه لله الواحد القيوم { قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون } الأعراف /29.**

**وهي وإن كانت تبنى من قبل البشر فإنهم لا يملكونها ،ولا يجوز أن تصرف في مختلف وجوه استعمالاتها إلا في ابتغاء مرضاة الله مصداقاً لقوله سبحانه { وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً }.**

**ولم يكن الحديث الشريف ـ وهو رديف القرآن ومفسره ـ بأقل اهتماماً أو عناية بالمساجد...بل تضافرت الأحاديث الجمة وتوالت فيه مشيدة بالمساجد ،فدعت إلى بنائها وتعظيمها روى ابن ماجة عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتاً في الجنة " وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: ( أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب ).**

**ودعت الأحاديث كذلك إلى خصها بنوع من التحية يناسبها ،وذلك بابتداء دخولها بالدعاء الخاص بدخول المسجد ،ثم بركعتين يقال لهما تحية المسجد. فقد روى مسلم وأحمد عن أبي**

**حميد وأبي أسيد رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إذا دخل أحدكم**

**المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليسلم على النبي وليقل: الله إني أسألك من فضلك " كما روى الشيخان وأحمد عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين ".**

**ودعت الأحاديث النبوية أيضاً إلى اجتناب فعل ما لا يليق بالمسجد فيه ،كإشهار السلاح ورفع الصوت بالحديث الدنيوي ومخاصمة الخصوم والبيع والشراء. روى ابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " خصال لا تبتغى في المسجد: لا يُتخذ طريقاً ،ولا يشهر فيه سلاح ولا ينبض فيه بقوس ،ولا ينثر فيه نبل ،ولا يمر فيه بلحم نيء ،ولا يضرب فيه حد ،ولا يقتضى فيه من أحد ،ولا يتخذ سوقاً "، وروى الطبراني عن ثوبان رضي الله عنه قال:" من رأيتموه ينشد شعراً في المسجد فقولوا له: فضّ الله فاك ثلاث مرات ،ومن رأيتموه ينشد ضالة في المسجد فقولوا له: لا وجدتها ثلاث مرات ومن رأيتموه يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا له: لا أربح الله تجارتك" قال ثوبان: كذلك قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.**

**ودعت الأحاديث - فيما دعت إليه من تعظيم المساجد - إلى تعلق القلوب بها ،وارتباط الأنفس بصورتها ومضمونها ،حتى تكون مهوى قلوب المؤمنين وأماكن طواف أرواحهم ففي الحديث الصحيح عند الشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل ،وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد ،ورجلان تحابا في الله فاجتمعا عليه وافترقا عليه ،ورجل ذكر الله كثيراً حتى فاضت عيناه ،ورجل دعته ذات منصب وجمال فقال :إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه "**

***ملاحظات عامة بين يدي البحث***

**ونستطيع القول بعد تمعن وتدبر، ونحن نفتتح الحديث عن أشهر المساجد في دنيا الإسلام ،أن نشير إلى نقاط مهمة وذات دلالات بعيدة في هذا المجال، *وهي كما يلي:***

**دور المساجد الاجتماعي**

***أولا:* المساجد هي مراكز ترابط الجماعة في الأمة المسلمة ،يتلاقى المسلمون فيها للصلاة وتبادل الآراء والوقوف على أخبار الحياة ،ويمتزج فيها جميع أفراد المجتمع من جميع المستويات ،ويتعملون كيفية توحيد السلوك ،وفهم الأمور وإحياء التراث وشحن العواطف... وبذلك يغدو المسجد الهيكل المادي الملموس للجماعة المسلمة أياّ كانت كما يغدو ضرورة دينية وضرورة سياسية بالنسبة لكل مسلم على حدة وبالنسبة لجماعة المسلمين جملة.**

**مكانة المساجد في المدن الإسلامية**

***ثانيا:* حظيت المساجد الجامعة بالاهتمام الأوفر في اختيار موضعها عند بناء المدن وتخطيطها، فكان المسجد الجامع مع دار الإمارة في معظم الأحيان يشغلان بؤرة المدينة الإسلامية ومركز الحياة والحركة فيها، حيث في هذا المسجد يلتقي الأمير بالمسلمين عموماً، ليس في أوقات الصلاة فقط ولكن في العديد من المناسبات الدينية، لذا حافظ المسجد الجامع في كل بلد إسلامي على مكانته الكبيرة في النفوس، كما حافظ على توسط مركزه في المدينة الإسلامية مهما توسعت رقعتها وامتدت أطرافها خارج أسوارها.**

**وقد أشار إلى ذلك المؤرخ القدسي في كتابه أحسن التقاسيم (ص255) عندما زار القيروان فقال واصفاً المسجد الجامع فيها: إنه كان بموضع يسمى السماط الكبير وسط الأسواق في سرة البلد.**

***جمال المساجد:***

***ثالثاً:* اتصفت المساجد عموماً في جميع بلاد المسلمين بطابع جمالي أخاذ، رغم اختلاف أشكالها من بلد إلى بلد ،ومن شعب إلى شعب، ومن عرق إلى عرق ،إلا أنها في جملتها أجمل**

**ما تقع عليه عين الإنسان في عالم الإسلام ،كما يقول الدكتور حسين مؤنس في كتابه المساجد (ص 31) ويضيف قائلا : فسواءً أكنت في قرية صغيرة خافية في بطن الريف ،أو مستكنة خلف كثبان الرمال في الصحراء ,أو راقدة في لحف جبل ،أو كنت في عاصمة كبيرة مترامية الأرجاء، متدفقة الحركة ،عامرة بالعمائر الشاهقة، فإن المساجد بمآذنها الدقيقة المنسرحة الذاهبة في الجو مشيرة إلى السماء ،وقبابها الأنيقة، تضيف إلى المنظر عنصراً من الجلال والجمال الروحي لا يتأتى له بدونها ،فهي تزيل الوحشة عن تواضع مباني القرية وصغرها، وتنفي الجمود عن مباني العواصم... ويتجلى لك ذلك في أصفى صورة ساعة المغيب حيث تضفي المساجد بمآذنها وقبابها ظلالاً جميلة على الشفق الدامي من ورائها... إنه جمال يحس به قلبك أكثر مما تراه عيناك.**

***بساطة واضحة:***

***رابعاً:* ورغم الطابع الأخاذ للمساجد إلا أنها اتصفت دائما بالبساطة والتواضع ،لأن طبيعتها وما بنيت له من عبادة الله بقلوب واجفة تتنافى مع الفخامة والاسراف في الزينة، ولو قارنا المساجد الفخمة في الإسلام ـ كمبان وكتل حجرية وجدران وارتفاعات ـ بالمباني التي شيدها المسيحيون أو اليهود أو الهندوس أو البوذيون لوجدنا أن أضخم المساجد وأعظمها في الدنيا كمسجد قرطبة الجامع، أو مسجد السلطان حسن في القاهرة ،أو مسجد السليمانية في الآستانة ،أو منار قطب في دلهي ، فانه لا يقاس أضخمها بكنيسة كانتر بري في لندن أو النوتردام في باريس أو القديس بطرس في روما، حتى قال بعض الباحثين: لو أخذنا الحجر الذي بنيت به كنيسة نوتردام لوجدناه وزناً وحجماً يعدل أربعة أو خمسة من مساجد الإسلام الكبرى... إن**

**المساجد تمثل أماكن ربط بين الخالق والمخلوق بأبسط أسلوب وأعمق تأثير وأعظم وسيلة... لذلك رأيناها أماكن جمعت الجمال والتواضع والابداع والبساطة.**

***الدور الحضاري:***

***خامساً:* قامت المساجد خلال تاريخ المسلمين الطويل بعدة أدوار حضارية، كان أهمها في**

**مجال التعليم والتوعية، حتى أصبح التعليم بمختلف مناهجه ومراحله جزءاً لا يتجزأ من رسالة المسجد في كل عصر ومكان... بل نستطيع القول: إن المدارس النظامية ما هي إلا ربيبة المساجد ورضيعة المحاريب. ومنذ أن تحلق الصحابة الكرام حول رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده الشريف يستمعون خطبه البليغة، ويصغون إلى أحاديثه الجامعة ،ويتلقون دروسه ومواعظه المعبرة... منذ ذلك الحين انطلقت رسالة التعليم داخل المسجد ،وحملت المحاريب تلك الراية في شتى مجالات العلوم: في الفقه والأصول والحديث والتفسير واللغة والأدب والتاريخ وغير ذلك، إلى أن خرّجت تلك المساجد ألوف النابغين ومئات الأئمة وأفواج المبدعين.**

**عناية فائقة:**

***سادساً:* ولا عجب بعد ذلك أن نقول إن عناية المسلمين جملة بمساجدهم فاقت عناية كل الأمم بأماكن عبادتها: من حيث العدد الكبير للمساجد، والارتباط الشديد بها، والنظافة التامة ،والفائدة العامة ،والأثر الباقي، فالمساجد بنيت وعمرت منذ الماضي ولا زالت حتى الآن تتابع مسيرتها في ثقة وتتابع... حتى لا تكاد توجد جماعة من المسلمين- تجاراً أو طلاباً أو مهاجرين - في بقعة من بقاع الأرض وإلا وكان الهاجس الأول لهم إنشاء مسجد يضم شتاتهم ،ويوحد كلمتهم، ويشعرهم بوجودهم.**

**ختاما:**

**وما حديثنا في هذا الكتاب عن المساجد إلا محاولة لتذكير الغافلين وتنبيه الشاردين إلى أهمية المساجد في حياتنا وعظيم أثرها في تاريخنا إضافة إلى لفت الأنظار إلى ما قدمه الأجداد العظماء من تجار وبنائين وحكام وخلفاء وشيوخ وعامة من جهود بارزة للعيان في خدمة الإسلام عن طريق تقوية قواعده الأساسية وقلاعه الحصينة المتمثلة في بيوت الله في الأرض...فعلى بركة الله نمضي ، ومنه سبحانه نستمد العون .**

**آداب المسجد**

**\* تعريف وتشريف:**

**المسجد لغة: مكان السجود.**

**واصطلاحا كما قال الزركشي : المكان المهيأ للصلوات الخمس..**

**وأول مسجد وضع على الارض المسجد الحرام بمكة كما قال تعالى:{ إن اول بيت وضع لناس لَلذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين} آل عمران /96 وهو أشرف المساجد على الاطلاق إلى يوم الدين ..**

**وقد جاء الأمر ببناء المساجد تعظيما لله سبحانه في آيات واحاديث كثيرة منها قوله عز من قائل{ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه} النور/36 ، وفي الصحيحين أن عبيد الله بن مسلم الخولاني سمع عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول عند قول الناس فيه حين بني مسجد النبي صلى الله عليه وسلم : إنكم أكثرتم ، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ( من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتا في الجنة).**

**وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( احب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها) وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: لتكن المساجد مجلسك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:( إن الله عز وجل ضمن لمن كانت المساجد بيته الأمنَ والجواز على الصراط يوم القيامة..)**

**هذا الاهتمام الكبير يعكس المقام الرفيع والمنزلة العالية التي تحتلها المساجد في الاسلام وبين المسلمين... ولعل من ابرز الاهتمام الكثيرة تلك الجملة الوافرة في الآداب المتعلقة بالمساجد مما يفترض في كل مسلم أن يعمل بها ويتخلق وذلك النحو التالي:**

**تعليق القلوب بالمساجد من علامات الإيمان:**

**إن محبة المساجد والتعلق بها ووالفرحة برؤية منازلها وقبابها والسرور بعماراتها وكثرتها، والاهتمام بتعظيمها وشئونها كل ذلك من علامات الايمان وامارات اليقين التي صرحت بها الآية الكريمة:( إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) التوبة/18 بل هو من موجبات الرحمة يوم الحساب إذ يُظل عرش الرحمن أناساً تميزوا بمزيد الايمان وحسن العمل منهم كما قال صلى الله عليه وسلم (مما روي في الصحيحين) :( ورجل قلبه معلق بالمساجد) ، وفوق هذا فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم (أن نشهد لرواد المساجد وعمّارها بالايمان وذلك في قوله:( إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالايمان) رواه الترمذي وابن ماجه.**

**وبلغ الأمر من الأهمية أن استحب النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون لكل مسلم مسجد في بيته ـ غير المسجد الذي يجمع اهل الحي ـ ففي سنن أبي داود والترمذي وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت:(أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب) وهذا وإن كان يحمل على المسجد وسط البيوت إلا أنه يحمل أيضا على اتخاذ المساجد ـ إن تيسر ـ في جزء من البيت ليتفرغ فيه المسلم للتعبد خاصة وقد أثر ذلك عن بعض الصحابة وغيرهم.**

**وتستلزم محبة المساجد: الغيرة عليها والحمية لكرامتها والغضب لتجرؤ بعض السفهاء من اليهود أو الهندوس او المسيحيين او غيرهم على انتهاك حرماتها حينا وهدمها حيناً آخر ، وما حادثة مسجد (البابري) في الهند وصور رعاع الهندوس وهم يهدمونه عنا ببعيد.**

**\* إقامة الصلاة.. الهدف الأول للمساجد:**

**من أعظم آداب المسلم المحافظة على الصلوات الخمس في المسجد مع الجماعد فقد ورد الحث على ذلك والتأكيد عليه والتحذير من التهاون فيه لسبب او لآخر ، قال تعالى عن بيوته التي امر أن تشاد وترفع { يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لاتليهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة} النور /36-37 وقال صلى الله عليه وسلم( صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة) اخرجه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم :( من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح) اخرجه البخاري.**

**قال سعيد بن المسيب: إن لزوار المساجد من عباد الله اوتادا جلساء وهم الملائكة ، فإذا فقدوهم سألوا عنهم فإن كانوا مرضى عادوهم وإن كانوا في حاجة أعانو هم ، ومن الطبيعي ان المداومة على المسجد تجمع مع أداء الصلوات جماعة ـ ذكر الله قراءة القرآن واستماع الدروس ولقاء الأحباب وغير ذلك من الفوائد الدينية والدنيوية الجمة.**

**تنزيه المساجد عما لايليق بها:**

**ويحافظ المسلم بكل ما اوتى من قوة على أن ينزه المساجد عن ان تكون موطنا لما لا يناسبها ، وقد اشار العلماء الى طائفة من تلك الأمور التي لا تناسب المسجد:**

**فمنها : البصاق والمخاط في المسجد وكذا سائر الفضلات لقوله صلى الله عليه وسلم (البصاق في المسجد خطيئة) رواه احمد والنسائي ، ومن باب أولى سائر النجاسات التي ينبغي على المسلم إبعادها عن المسجد وحيطانه الداخلية والخارجية وساحاته الخاصة ومبانيه الملحقة به.**

**ومنها : إخراج الريح في المسجد ولو خارج الصلاة لأن المساجد ـ زيادة على كونها مجمع المسلمين ـ مواطن الملائكة وهي تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم وإيذاء المسلمين والملائكة مناف للآداب الإسلامية.**

**ومنها :الحيلولة دون دخول المجانين والصبيان والبهائم وكل مالا يعقل او كل من يؤذي إلى داخل المسجد ، وقد ورد في المعجم الكير للطراني عن أبي أمامه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ( جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وخصوماتكم وأصواتكم وسل سيوفكم وإقامة حدودكم).**

**ومنها: إبعاد الروائح الكريهة عنها وهذه الروائح تشمل رائحة الثوم والبصل والدخان والكراث والبقول والعرق ودورات المياه وروائح الطبخ وكل ما ينفر الناس ويؤذيهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( من أكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين الثوم والبصل فلا يقربن مصلانا" أخرجه مسلم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر باخراج صاحب ريح الثوم والبصل من المسجد ، بل ندب الناس إلى استبدال ثياب مهنتهم وعملهم إذا جاؤوا الى العيد والجمعة بثوبين نظيفين ، وأمر بتجمير المساجد وتطييبها بين الحين والآخر.**

**ومنها: تنظيفها من الأوساخ كالأتربة والغبار وما يلقيه الناس من مخلفات فتلك أشياء تزال من المسجد ، ولمن فعل ذلك أجر عظيم ، فقد كانت امرأة سوداء تقمّ المسجد أي تنظفه فماتت بليل، فما أخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، فرآها في المنام في الجنة ، فلما أصبح سأل عنها فأخبر بموتها ، فمضى حتى وقف على قبرها فصلى عليها. أخرجه البخاري والنسائي وابن ماجه ، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتبع غبار المساجد بجريدة.**

**ومنها : تقليم الأظافر وتنظيفها أو قص الشعر في المسجد، فقد نص مالك رحمة الله على كراهته لحرمة المسجد.**

**ومنها:أن لاتتخذ المساجد منتدى لمجالس اللغو ورفع الصوت وغيبه الناس والوقيعة فيهم ، فقد فعلت مثل ذلك امرأتان في رمضان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهما النبي صلى الله عليه وسلم ان تقيئا ، فقاءتا دما أسود ولحماً عبيطاً حتى ملأتا طستا. رواه احمد ، وفي مصنف ابن ابي شيبة ان عمر رضي الله عنه سمع رجلا رافعاً صوته في المسجد فقال: أتدري أين أنت؟ بل إن مالكا رحمه الله كره رفع الصوت في المسجد بالعلم وذلك خوفاً من التشويش على المصلين أو الذاكرين.**

**ومن باب أولى لايجوزأن تستغل المساجد لبعض الحرف كالخياطة وغيرها من الصنائع كما نص عليه الزركشي نقلا عن ابن الصباغ.**

**\* لابأس من تعويد الأبناء الواعين على المساجد:**

**إن النهي الوارد في الحديث عن دخول الصبيان المساجد لايمنع المسلم من تعويد أبنائه الواعين المدركين التردد على المسجد وذلك لأن النهي قصد به الحفاظ على حرمة المساجد من عبث الصبيان وهزلهم وفضلاتهم ، فإذا ما صحب الأب بنيه إلى المسجد وحافظ عليهم وراقبهم امتنع ذلك المحذور ، وحصل تعويد البناء على محبة المساجد وحرمتها وإيلافها، وهو من الضروريات التي ينبغي تربية الأبناء وتعويدهم عليها ، وقد كان أبناء الصحابة كابن عباس وابن عمر وابن الزبير والحسن وغيرهم رضي الله عنهم لاينقطعون عن المسجد النبوي الشريف : يحضرون الصلوات ويستمعون الخطب ويحفظون القرآن والحديث.**

**\* أدعية الدخول والخروج وأذكار المعتكف:**

**ومن أدب المسلم في المسجد أنه إذا دخله دخله بهدوء وسكينة ، ذاكرا الله سبحانه بقوله : " اللهم صل على سيدنا محمد ، اللهم افتح لي أبواب رحمتك"رواه الترمذي وأحمد وابن ماجة ، ثم يعمد بعد ذلك مباشرة وقبل الجلوس إلى صلاة ركعتين تحية المسجد ثم يجلس ينتظر الصلاة بخضوع ومراقبة لله سبحانه فهو في بيته وضيافته، فإما أن يذكر الله او يستغفر ، أو يقرأ القرآن ، أو يطالع كتب العلم أو نحو ذلك ، فكل ذلك عبادة وأي عبادة .. إنه صلاة مأجورة وقربة محببة ، كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري :(إن الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الذي صلى فيه مالم يحدث، تقول : اللهم اغفر له، اللهم ارحمه) أخرجه البخاري وفي رواية :(لايزال أحدكم في صلاة ماكانت الصلاة تحبسه لايمنعه ان ينقلب إلى أهله إلا الصلاة) أخرجه مسلم.**

**ومقتضى اشتغال المسلم بالعبادة والمراقبة طيلة بقائه في المسجد أنه لا يلتفت إلى شيء آخر من غير ذلك الشأن، ولا يدع نفسه تتدخل في شؤون غيره، سواء كان مصلياً أو عاملاً في المسجد أو غير ذلك.. فمن غير اللائق تدخل المصلى في فتح النوافذ او تحريك المراوح،أو ضبط صوت(الميكرفون) أو العبث بأجهزة التكييف أو إطفاء الأنوار، أو غير هذا وذاك، مادام هناك من موظفي المسجد من يقوم نيابة عنه بما يصلح المسجد. إذ أن تدخل المصلين لايكون اولا على وجه واحد متفق عليه غالبا ، كما انهم قد لايحسنون التصرف في بعض الأجهزة أو الأدوات .. وقد رأينا من ذلك في المساجد العجب العجاب ، وكذلك فإن من مقتضيات الاشتغال بالعبادة في المسجد أن لا يهتم المصلى بمكان بعينه ، او مصحف معين ، أو حاجة ما فيتصور انها له دون سواه ، فالمسجد مشاع للجميع وليس لأحد فيه بأكثر مما لغيره فيه ، ومن سبق إلى ما لم يسبق اليه فهو أحق به ، وعلى الذين يرغبون بالصف الأول مثلاً ان يأتوا مبكرين لا أن يتخطوا رقاب المصلين ، فقد نهى عن ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وقال للمتأخر المتخطي :(اجلس فقد آذيت وآنيت) اخرجه أبو داود والنسائي.**

**فإذا أراد المسلم الخروج من المسجد خرج وقلبه مشتاق للعودة اليه ، ويقدم رجله اليسرى في الخروج ويقول :" اللهم صل على سيدنا محمد . اللهم إني أسألك من فضلك". رواه الترمذي وأحمد بن ماجه.**

**\*جيران المسجد.. سدنه مؤتمنون:**

**يتوجب على جيران المسجد توفير حرمته وتأمين حشمته حتى تكون العلاقة الطيبة بينهم وبينه متبادلة ، فكما أنه يشفع بهم كما جاء في بعض الاثار ،فإن للمسجد عليهم حقاً في عدم إزعاج المصلين فيه بالاصوات العالية خاصة في الأفراح ، أو بالروائح المستقذرة خاصة من المجاري ، او في مواقف السيارات المخصصة للمصلين ، او في مراقبة المسيئين إليه بسرقة بعض أشيائه كأحذية المصلين ونحو ذلك .. فجيران المسجد هم سترته الواقية وسدنته القريبون وأهله الموكلون به، واولى الناس بشئونه وشجونه.. ولهم كذلك على المسجد ان لايكون سببا في مضايقتهم او إحراجهم في نومهم وراحتهم وخاصة فيما يتعلق برفع صوت المكبرات في غير الاذان... فذلك مما أفتى أهل العلم بكراهته.**

**المسجد حاليا ... وظروف متغيرة:**

**ومن الواجب على المسلم تجاه المسجد مراعاة ظروفه الحالية المختلفة عن أوضاعه السابقة ، فقد كان المسجد في الماضي بلا فرش ولا ابواب ، يستخدم أحيانا للنوم وللاكل وللقضاء وتدبير الجيش واستقبال الوفود ، ولكنه اليوم يختلف في كثير من أموره عما سبق... فهل ياترى لايزال بعضهم يستحسن الصلاة فيه في النعال ؟ أو يرى ان منع النوم فيه وطبخ الطعام في أنحائه مخالف للسنة ؟ او أن إغلاقه بعد الصلوات او ليلاً خوفاً على أملاكه وأمتعته من البدع النكرة ؟ او ان منع غير العلماء المعروفين من الحديث والخطبة أمر لادليل عليه؟‍‍‍‍‍‍‍**

**إن في المساجد اليوم فرشاً من أحسن الأنواع ، وفيها متاع وأدوات نفيسة تطمح إليها نفوس شريرة ، وإذا تركت دون باب وقفل ونظام وضبط وملاحظة وإدارة أوشك أن يتسلط عليها أصحاب الأهواء أو يبعث بها السفهاء أو يؤول امرها الى الخراب.**

**حسن المعاملة ولين الجانب:**

**ومن آداب المسلم حسن التعامل مع الآخرين فيه ، حتى إنه ليلين لهم جانبه ويخفض لهم جناحه ويطيب لهم كلامه ، كما قال عليه السلام :( لينوا في ايدي إخوانكم ) رواه أحمد ، وكما ضرب لنا النبي صلى الله عليه وسلم مثلا من نفسه حينما جاء اعرابي حديث الاسلام ، فبال من ناحية المسجد ، فهم به الصحابة ان يضربوه ، فقال عليه السلام( لا تزرموه دعوه ثم دعا بذَنوب من ماء فصب عليه ، ثم دعا به فقال له : ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من أقذار الناس إنما هي للصلاة والذكر وقراءة القرآن) رواه مسلم وأحمد.**

**وهكذا يكون المسلم إذا نصح أحدا أو استفسر منه عن أمر أو أراد إصلاح مايرى أنه من مصالح المسجد ... يكون رفيقا هينا لينا اقتداء منه بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم**

****

**المسجد الحرام بمكة المكرمة (1)**

**فضائله ومزاياه**

**الكعبة قديماً:**

**كانت الكعبة المعظمة في مبدأ الأمر أرضاً فسيحةً ليس حولها دور أو جُدُر، وذلك لأن القبائل التي قطنت مكة حينذاك كانت تسكن في شعاب مكة تاركة ما جاور الكعبة المعظمة خلاءً لا يرتادونه إلا لتعظيم الكعبة والإلمام بها. وبقي الحال كذلك إلى أن جمع قصي بن كلاب قومه وأشار عليهم بالسكن حول البيت حتى تهابهم العرب ولا تستحل قتالهم أو الهجوم عليهم. ومنذ ذلك الحين بدأت بيوت مكة تنسج للكعبة مساحة محددة بجدران البيوت المحيطة بها. وكان العرب في تلك الساحة الفضاء حول الكعبة يطوف الطائفون منهم، وتجلس قريش صباحاً ومساء في أطرافها... هكذا كان الوضع قبل البعثة النبوية الشريفة في المسجد الحرام.**

**المسجد الحرام... قبل الاسلام:**

**ولم تتح الفرصة للمسلمين لأداء الصلاة في المسجد الحرام قبل الهجرة إلا نادراً، وفي حالات خاصة سواء قبل الهجرة أوبعدها، سواء قبل الهجرة ام بعدها. فقد كانت قريش تمنعهم من الصلاة فيه بشكل عام، إلى أن كان يوم الفتح سنة ثمان للهجرة عندما دخل المسلمون المنتصرون ـ وقد دانت لهم مكة واستسلمت ـ الى المسجد الحرام الذي يتجهون إليه في صلواتهم أينما كانوا، لا يمنعهم عن الصلاة في بيت الله عدو أو خصم.**

**وكان المسجد الحرام قبل الإسلام يطلق عليه اسم البيت حتى سماه القرآن الكريم ـ إضافة إلى ذلك ـ المسجد الحرام، وذلك في قوله تعالى: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى } وقوله: { قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينّك قبلة ترضاها فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام}... كما سماه الله حرماً آمناً، وسماه البيت العتيق، وأضافه إلى نفسه في قوله: { أنْ طهرا بيتي} إضافة تشريف للبيت وتكريم.**

**ومن الصعب جداً أن يحصر المرء ما يتعلق بالمسجد الحرام من وجوه متعددة وضعاً وأحكاماً وخواطر وآداب وصفا وأحكاما وخواطر وآداب - في عجالة سريعة...**

**إلا أننا سنتحدث عن المسجد الحرام من زاويتين:**

**أولاهما: عن منزلته وخصائصه وفضائله، وما يتبع ذلك من أمور خاصة بالحرم المكي دون سواه من سائر المساجد.**

**وثانيتهما: عن بنائه وترميمه وتجديده وتوسعته والعناية به وما يتعلق بذلك من أول أمره إلى زمننا هذا...**

**وإذن فلنبدأ بالحديث عن أولى الزاويتين.**

**قدسية البيت العتيق:**

**إن تعظيم البيت العتيق ليس بدعاً في الإسلام ولم يكن فيه ابتداء، بل قد روي عن علي بن الحسين رضي الله عنهما أن الله تعالى وضع تحت العرش بيتاً وهو البيت المعمور وأمر الملائكة أن يطوفوا به ثم أمر الملائكة الذين في الأرض أن يبنوا بيتاً في الأرض على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت، وأمر من في الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور.**

**كما روي أن الملائكة كانت تحجه قبل خلق آدم بأمد بعيد. فلما حجه آدم عليه السلام بعد نزوله إلى الأرض تلقته الملائكة قائلة: بَرّ حجك يا آدم. لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام.**

**ومن هذا القبيل ما أخبر الله سبحانه عن أمره لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أن يرفعا قواعد البيت وأن يطهراه للطائفين والعاكفين والركع السجود.**

**وقد درج العرب في جاهليتهم على ذلك التعظيم للكعبة المشرفة واحترام أهلها فكانوا من جميع أطراف الجزيرة العربية يحجون البيت في الموسم، ويوقفون القتال لإفساح المجال أمام موكب الحجاج ليصل من أطراف الجزيرة سالماً ذهاباً وعودة، كما كانوا يتناسون ثاراتهم ودماءهم داخل الحرم التابع للكعبة المعظمة. هذا عدا ما كانوا يهدونه إلى الكعبة من الهدايا النفيسة، وكانوا كذلك لا يستحلون الطواف إلا بثياب جديدة، أو بثياب أهل الحرم التي بظنهم لا تعلق الذنوب بثيابها.**

**وقد من الله سبحانه وتعالى على قريش بهذه المزية في بيتهم، وذكرهم بها أكثر من مرة مما أعظم شأنهم في عيون العرب والقبائل المحيطة فلم تكن تجسر أو تتجرأ على منازعتهم أو العدوان عليهم. قال تعالى: { أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم}.**

**وتلك لعمري حقيقة واقعة لا تنكر خاصة إذا أضفنا إليها أن الله سبحانه وتعالى كان بالمرصاد للطاغية الحبشي أبرهة عندما جاء بجيش لَجِبٍ لا طاقة للعرب به وزوده بالعتاد والسلاح والفيلة فارتدت العرب عن طريقه، وعجزت عن ملاقاته، حتى إذا كاد أن يبلغ مراده من هدم الحرم وتسويته بالأرض وصرف الناس عنه إلى معبده ( القليس) فقد أرسل عليه من جند من السماء طيراً يجوب السماء فوق جيشه في جماعات تحمل الموت الزؤام، بما تلقيه عليه مناقيرها وأقدامها من حجارة معدة للعذاب، مسومة عند ربك للمسرفين. {ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول}.**

**فكيف يجرؤ بعد ذلك أحد على العدوان على الحرم وأهله والله له بالمرصاد.**

**الإسلام والبيت الحرام:**

**ولما جاء الإسلام احتلت الكعبة المشرفة والمسجد الحرام في مكة من القلوب أعلى منازلها، وأعطيت من الفضائل أغلى دررها، وليس ذلك بكثير على البيت الأول لله في الأرض الذي قال الله سبحانه فيه: { جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد} كما قال فيه: { إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين}.**

**هذا ونستطيع أن نجعل فضائل البيت الحرام في النقاط التالية:**

**التوجه في الصلاة:**

**1ًـ إن صلاة المسلمين في أنحاء الأرض كلها، وبجميع أقسامها المفروضة والمسنونة والعامة والخاصة، يشترط فيها التوجه إلى الكعبة المشرفة في المسجد الحرام عياناً في حالة القرب، وإلى جهتها في حالة البعد بعد أن أقر الله عين نبيه محمدٍ صلى الله عليه وسلم بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة. { قد نرى تقلّب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام، وحيث كنتم فولوا وجوهكم شطره}. فالمسجد الحرام يمثل أعظم عامل موحد للمسلمين في بقاع الدنيا يجمعهم حوله خمس مرات كل يوم على أقل احتمال.**

**الحج إلى بيت الله الحرام:**

**2ًـ إن الحج ـ وهو ركن من أركان الإسلام ـ فرض عين على كل مسلم يستطيع الوصول إليه، مرة واحدة في العمر كحد أدنى { ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا}... وإذا كانت الصلاة تجمع المسلمين بوجوههم ونياتهم وقلوبهم حول المسجد الحرام فإن الحج يجمع المسلمين بأبدانهم وأجسادهم في جمع واحد يؤم البيت العتيق من كل حدب وصوب { وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فجّ عميق}. وهذا الجمع المادي لأفراد الأمة الواحدة يجعل المسجد الحرام أداة تذويب للفوارق، الشكلية والحواجز الدنيوية، والسلوكيات الاجتهادية للمسلمين، ليحُل مكانها الألفةَ والمودةَ والإخاء والتعاون والتعارف.**

**الكعبة... داخل المسجد الحرام:**

**3ـ ويكفي المسجد الحرام شرفاً لا ينازعه فيه ولا يدانيه مسجد آخر في الدنيا وجود الكعبة المشرفة فيه، فهي عموده الفقري وتاجه اللؤلؤي ودرته النفيسة. والمسلم يرى أن القلم أعجز من أن يصف ما تستحقه الكعبة من إجلال وإعظام، فهو يعتقد أن النظر إليها وتكحيل العين برؤياها عبادة يثاب عليها. لما رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنها قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( يُنزِل اللهُ على أهل المسجد مسجد مكة كل يوم عشرين ومئة رحمة، ستين منها للطائفين، وأربعين منها للمصلين، وعشرين منها للناظرين).**

**كما يعتقد أن دخول بنيتها دخول في رحمة الله لما رواه البيهقي والطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من دخل البيت دخل في حسنة، وخرج من سيئة، وخرج مغفوراً له) هذا عدا عن أن الدعاء عند النظر إليها مجاب كما رود في سنن البيهقي عن أبي إمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(تفتح أبواب السماء، ويستجاب الدعاء في أربعة مواطن: عند التقاء الصفوف، ونزول الغيث وإقامة الصلاة، ورؤية الكعبة).**

**وفوق ذلك كله ففي الكعبة الحجر الأسود الذي هو يمين الله في الأرض، وهو شاهد على الخلق يوم القيامة وهو قطعة من الجنة وكان أبيض فأسودّ من خطايا بني آدم، وعنده تسكب عبرات المحبين الصادقين لربهم التائبين من ذنوبهم، العائدين إلى الله. روى الحاكم وابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل الحجر ووضع شفتيه عليه يبكي طويلاً، ثم التفت فإذا هو بعمر بن الخطاب رضي الله عنه يبكي فقال: "يا عمر هاهنا تسكب العبرات".**

**وتقبيل الحجر الأسود ووضع الخد عليه "إذا أمكن دون مزاحمة ولا مشقة" سنة...**

**وقد جاء في بعض الراويات أن الشيطان لا يتمثل بالكعبة في المنام لما روى الطبراني في معجمه من طريق عبد الرزاق عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ( من رآني في منامه فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي ولا بالكعبة).**

**تحية المسجد الحرام:**

**4ـ وللبيت المعظم في مكة تحية خاصة به ليست كتحية باقي المساجد، فتحيته الخاصة به الطواف به سبعة أشواط حين الدخول إليه قبل كل شيء، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم أول شيء بدأ به الطواف. كما أن هذه التحية مأمور بها ثانية عند مغادرة البلد الحرام مكة المكرمة، فتجب على كل من خرج من مكة مسافراً منها، ففي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت).**

**مضاعفة الصلاة:**

**5ـ والصلاة في المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة فيما سواه من المساجد، لما رواه أحمد والبزار في مسنديهما وابن حبان في صحيحه عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة) وعند البزار في مسنده عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:( فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة ). وتضعيف الصلاة فيه ـ كما يقول الزركشي ـ في كتابه المرجع: إعلام الساجد ـ لا تختص بالفريضة، بل تعم النفل والفرض، وإن التضعيف لا يختص بالصلاة بل وسائر أنواع الطاعات كذلك قياسا.**

**كما حذر المقيم في المسجد الحرام من السيآت التي تضاعف هناك لحرمة المسجد الحرام فيشتد أخذ الله بها. قال الله تعالى: { ومن يرد فيه بإلحادٍ بظلمٍ نذقْه من عذاب أليم}.**

**اخراج الكافرين منه، وشد رحال المؤمنين إليه:**

**6ـ وقد أمر الله سبحانه وتعالى بإبعاد الكفرة الملحدين عن المسجد الحرام وإخراجهم إلى مناطق بعيدة عنه نائية حتى لا يدنسوه. قال تعالى: { إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا} في الوقت الذي جعل شد رحال المؤمنين إليه لحجه أو الاعتمار فيه أو الصلاة أو أداء العبادات أو الاعتكاف أو المجاورة قربة مسنونة (لا تشد الرحال إلا ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى).**

**مقام إبراهيم عليه السلام:**

**7ـ وفي المسجد الحرام بمكة ـ حرسها الله ـ آياتُُ بينات، منها مقام إبراهيم، وهو الحجر المعروف قرب الكعبة، الذي كان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه ليرفع بناء جدار الكعبة قال تعالى: { فيه آيات بينات مقام إبراهيم}. وقال تعالى: { واتخِذوا من مقام إبراهيم مصلى}.**

**زمزم... ماء مبارك:**

**8ـ ومن الآيات البينات في المسجد الحرام عين ماء زمزم التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كما في الصحيح ـ "إنها مباركة". وقد روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم فيه طعام من الطعم وشفاء من السقم". وقد ذكر انها من عيون الجنة، وأن مياه الأرض العذبة ترفع قبل يوم القيامة غير زمزم.**

**احترام كبير، ولو من بعيد:**

**9ـ ومن تعظيم المسجد الحرام أنه يحرم على المسلم استقبال الكعبة المعظمة واستدبارها بالبول والغائط في الصحراء، وفي البنيان عند كثير من العلماء أينما كان المسلم. نقل الزركشي أنه روي في حديث سراقة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ( إذا أتى أحدكم البراز فليكرم قبلة الله ولا يستقبل القبلة).**

**لا أوقات لكراهة الصلاة فيه:**

**10ـ ومن فضائل المسجد الحرام أن للصلاة فيه وضعاً خاصاً، فهي لا تحرم ولا تكره في أي وقت من أوقات النهار أو الليل كما هو الحال في خارجه حيث تحرم بعد صلاة الصبح، وبعد صلاة العصر، وعند طلوع الشمس وعند غروبها وعند استوائها. ففي السنن الأربعة من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ( يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار).**

**كما أن المرور بين يدي المصلي لا يكره في المسجد الحرام، فعن عبد الرزاق عن المطلب بن أبي وداعة قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في المسجد الحرام والناس يطوفون بالبيت بينه وبين القبلة بين يديه ليس بينه وبينهم سترة).**

**وكذلك فإن صفوف الصلاة في كل مساجد الأرض مستقيمة في اتجاه واحد نحو الكعبة إلا في المسجد الحرام فهي ملتفة حول الكعبة لا يضر تقدم المأموم على الإمام فيها ما دام ليس في جهته، بل المشروط فيها فقط أن يكون الإمام أقرب من المأموم إلى الكعبة.**

**هذه نبذة مختصرة مجملة من فضائل المسجد الحرام، في البلد الحرام نقدمها بين يدي حديثنا عن تاريخ بنائه وتجديده وتوسعته ووصفه.**

****

**المسجد الحرام بمكة المكرمة (2)**

**المسجد الحرام.... بناؤه وتاريخه**

**مقدمة:**

**والحديث فيما سبق تناول فضائل المسجد الحرام وما أعطاه الله وخصه به من المزايا العظيمة التي جعلته عند المسلمين قدس الأقداس ودرة من المساجد وأعظم المعابد، مما يستدعي الاهتمام به، ومراعاة أحواله، وتوسيع بنائه، وترميم أطرافه، ورد عوادي الزمن عنه ومواكبة تطور الحياة في أجزائه وأجهزته، والإنفاق بسخاء على حاجاته، والعناية بشدة بتزيينه وإجلاله وإعظامه . وذلك ما يستحقه المسجد الأول في الأرض، المضاف إلى ذات الله، المرفوعة قواعده بيد أبي الأنبياء إبراهيم وابنه الذبيح إسماعيل عليهما السلام، والذي في جواره ولد المصطفى عليه السلام، وإليه تهفو نفوس المسلمين إلى يوم الدين.**

**سجل تاريخي مفتوح:**

**ونستطيع القول جازمين أن تاريخ بناء وتوسعة وتجديد الحرم المكي يمثل تاريخ الإسلام السياسي والإجتماعي والعمراني.. فليس هناك من خليفة أو ملك، أو أمة أو شعب، أو عصر أو جيل من المسلمين، إلا وله في المسجد الحرام بصمات أو موقع، سواء بقي من ذلك شيء إلى الآن ماثلاً وشاهدا أم زال أمام سيل الإضافات والتجديدات والتوسعات التي ما توقفت منذ أيام الخلافة الراشدة حتى يومنا هذا، ليصبح المسجد الحرام في كل عصر وزمن أجمل المساجد وأوسع المساجد وأعظم المساجد وأطيب المساجد.**

**البناء القديم:**

**ويبدأ تاريخ المسجد بتاريخ بناء الكعبة المشرفة،**

**وقد ذكر العلامة الألوسي أنها بنيت من قبل خمس مرات.**

**الأولى: بناء الملائكة عليهم السلام قبل آدم عليه السلام، وكانت من ياقوته حمراء، ثم رفع ذلك البناء إلى السماء أيام الطوفان.**

**الثانية: بناء إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام.**

**والثالثة : بناء قريش في الجاهلية، وقد حضره النبي صلى الله عليه وسلم، وكان شاباً ابن خمس وثلاثين سنة وشارك بنفسه الشريفة أعمامه في العمل، ولما أرادت قريش في هذا البناء أن ترفع الحجر الأسود لتضعه في مكانه اختصمت فيما بينها، حتى كانت تقع الحرب، ثم اصطلحوا على أن يحكم بينهم أول رجل يخرج من عليهم من هذه السكة، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من خرج فقضى بينهم أن يجعلوا الحجر الأسود في مرط ( أي كساء) ثم يرفعه زعماء القبائل فرفعوه ثم ارتقى عليه السلام فوضعه بيده الشريفة مكانه،**

**والرابعة: بناء عبد الله بن الزبير الذي بناها حسبما بلغه من خالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن رغبة النبي صلى الله عليه وسلم فجعل لها بابين لاصقين في الأرض: باباً للدخول والآخر للخروج، وضم حجر إسماعيل إليها.**

**والخامسة: بناء الحجاج بن يوسف الثقفي الذي غير ما فعله ابن الزبير بعد مقتله...**

**وقد أضاف بعض المؤرخين إلى تلك المرات الخمس المعلومات عن بناء الكعبة مرة أخرى: إذ بنيت الكعبة أيام قصي بن كلاب أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم وزعيم مكة في حينه، وذكر أن أول من سقف الكعبة المعظمة قصي بن كلاب، سقفها بخشب الدوم وجريد النخيل.**

**كما أن من الثابت المؤكد تاريخياً أن قريشاً لما بنت الكعبة المعظمة قصرت بها النفقة الحلال الصرف عن استكمال البناء، فتركوا من البيت مقدار ستة أذرع وشبر، وبنوا دونه جدار الكعبة، ولئلا يضيع ما أخرجوه منها أداروا عليه جداراً قصيراً بارزاً.. فهو المسمى اليوم حجر إسماعيل، قال الزركشي نقلاً عن الأزرق في تاريخ مكة: جعل ابراهيم صلى الله عليه وسلم طول بناء الكعبة في السماء سبعة أذرع (3.5م) وطولها في الأرض ثلاثين ذراعاً (15م) وعرضها في الأرض اثنين وعشرين ذراعاً (11م)، وكانت بغير سقف، ولما بنتها قريش جعلوا طولها ثماني عشرة ذراعاً في السماء (9م) .. ولما بناها ابن الزبير جعل طولها في السماء سبعة وعشرين ذراعاً (13.5م) وجعل عرض جدارها ذراعين (1م)، وجعل فيها ثلاث دعائم، وأرسل إلى صنعاء فأتي من رخام بها، وجعل لبابها مصراعين وللباب الآخر مثله وجعل بها، ميزابها يسكب في الحجر، وجعل لها درج في بطنها من خشب معرجة يصعد فيها إلى ظهرها، وذلك سنة 64هـ. كما ضم الزبير حجر اسماعيل إليها.**

**وإذا تابعنا تاريخ الكعبة المعظمة من حيث البناء، نجد أن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي بعد مقتل ابن الزبير أعادها إلى ما كانت عليه قبل عبد الله بن الزبير، فجعل بها باباً واحداً مرتفعاً عن الأرض وأخرج منها الحجر ثانية، وقد ندم بعد ذلك على ما فعل.**

**ولما كان هارون الرشيد الخليفة العباسي إراد أن يرد بناء الكعبة على ما فعله ابن الزبير واستشار الإمام مال بن أنس في ذلك فقال له: نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك، لا يشاء أحد إلا نقض البيت وبناه، فتذهب هيبته من صدور الناس. فترك ما هم به.**

**ويضيف الزركشي ( في إعلام الساجد) قائلاً: فاستحسن الناس هذا من مالك، وعملوا عليه، فصار هذا كالاجماع على أنه لا يجوز التعرض له ( أي البيت) بهدم أو تغيير والله أعلم.**

**إصلاحات وترميمات:**

**ولكن خلال السنين المتعاقبة منذ ذلك الحين جرت اصلاحات وترميمات وتجديدات كثيرة للكعبة المعظمة. فمن ذلك أنه في عام 542هـ عمّر سقفها الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله.**

**وفي سنة (550) تم ترميم رخامها**

**وفي سنة (559هـ) جرت تقوية الركن اليماني بشدّهِ عند ما تضعضع وذلك أيام المستنجد بالله.**

**وفي سنة (720هـ) أمر الناصر محمد بن قلاوون بتعمير رخام الحجر**

**وفي سنة (917هـ) أمر الملك قانصوه الغوري من المماليك بنقض الحجر الأسود وبناه من جديد برخام استقدمه من مصر.**

**وفي سنة (1010هـ) أمر السلطان الثاني العثماني محمد الثالث بأن يجدد الشاذروان الملاصق لجدار الكعبة، وجعلوا حجارته من المرمر.**

**كذلك وفي سنة (1019هـ) أمر السلطان العثماني أحمد بأن تحزّم الكعبة بزنار من نحاس غلفه بالذهب الخالص لتعضيد جدارها الشمالي المتصدع.**

**وفي عام (1039هـ) وأثر هطول مطر شديد تصدعت جدرانها، فبادر السلطان مراد بإعادة بناء الكعبة وصنع لها باباً جديداً فخماً، وقد انفلق الحجر الأسود في هذا البناء إلى أربع شظايا، فأعيد جمعه وعولج بحيث لا يتفت ثانية.**

**وفي عام (1073هـ) أيام السلطان العثماني محمد الرابع جرى تعمير سقف الكعبة وجعلوا له إفريزاً.**

**وقد جدد السقف ثانية عام (1100هـ) في عهد السلطان مصطفى الثاني**

**وجرت كذلك بعض الترميمات أيام السلطان أحمد الثالث المتوفى عام 1149هـ.**

**وفي عام 1276هـ أهدى السلطان عبد المجيد إلى الكعبة ميزاباً مصفحاً بنحو خمسين رطلاً من الذهب الخالص وهو لا يزال إلى اليوم.**

**وفي عام 1331هـ أمر السلطان محمد رشاد ( محمد الخامس ) أن يحاط الحجر الأسود في الكعبة المشرفة بطوق من الفضة الخالصة.**

**وفي عام 1377هـ تم إعادة بناء سقف الكعبة وإصلاح الجدران المتصدعة، وترميم الكسوة الرخامية من الداخل التي على الجدران من الداخل .**

**ومما يذكر أن باب الكعبة من الذهب الخالص المنقوش بالزخارف والآيات الكريمة.**

**كسوة الكعبة:**

**هذا عن بناء الكعبة، أما عن كسوتها فقد قيل: إن تبعاً ملك اليمن في الجاهلية هو أول من كسى الكعبة، وذلك قبل الإسلام بسبعمائة عام. وقد كساها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثياب القباطي، وكان عمر رضي الله عنه يفعله في خلافته، وكساها كذلك معاوية وابن الزبير الديباج الأحمر. يقول الأزرقي: وكانت تكسى يوم عاشوراء، ثم صار معاوية يكسوها مرتين، والمأمون يكسوها ثلاثاً: الديباج الأحمر يوم التروية، والقباطي هلال رجب، والديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من رمضان المعظم، ثم كساها الديباج الأسود الخليفة الناصر العباسي، فهي تكسى بالأسود إلى اليوم.**

**ومازالت كسوة الكعبة سنة متبعة يتباهى بها الملوك طوال الزمن حتى استقر أمرها منذ سنة 743هـ إلى أمد قريب في مصر، فكانت تصنع فيها، ثم يعد لها موكب عظيم يحملها بكل اجلال إلى البلد الحرام، حتى إذا كان عام ( ) هـ استحدث في مكة مصنع خاص لكسوة الكعبة المعظمة، مجهز بكل الوسائل الحديثة، التي تهيء للكعبة ثوباً من أفخر النسيج ونفيس القماش ورائع النقش وبديع الخط، تكسئ به صبيحة يوم النحر من كل عام، في موكب مهيب يحف بها ويعظمها فتبدو كعروس تجلى بأبهى ثيابها.**

**وللمسجد الحرام تاريخ ومجد:**

**أما المسجد الحرام من حول الكعبة المعظمة فتاريخه أيضاً حافل بالبناء والتجديد والتوسعة، حتى كأنه انشودة الدول والممالك، وسفر الخلفاء والعظماء.**

**وقد كان المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا جدار يحيط به ولا باب يغلق عليه، وبقي الحال كذلك مدة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولم تكن بالناس حينذاك حاجة إلى توسعته لقلتهم وانشغالهم بالفتوح، فلما استخلف عمر رضي الله عنه وسع المسجد واشترى دوراً فهدمها وأدخلها فيه، ثم أحاط عليه جداراً قصيراً دون القامة، وكانت المصابيح توضع عليه. ثم لما استخلف عثمان رضي الله عنه اشترى دوراً أيضاً ووسع بها وبنى المسجد والأروقة حوله، ثم إن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه زاد سنة بضع وستين..**

**للهجرة في المسجد زيادة كثيرة في خلافته، ثم عمره بعد ذلك عبد الملك بن مروان ولم يزد فيه ولكمنا رفع جدار المسجد، وحمل إليه أعمدة الحجارة الرخام، وسقفه بالساج، وزين اسطواناته بالذهب، فجعل على رأس كل واحدة منها خمسين مثقالاً من الذهب. ولما كان ابنه الوليد جعل سنة 91هـ للمسجد بناء محكماً فوق العقود المزخرفة بالفسيفساء من جهة شرقي الكعبة، ثم إن المنصور العباسي زاد في شقة المقابل لبناء الوليد رواقاً محمولاً على عمد الرخام، كما اشترى المساكن الملاصقة للمسجد من جهتيه، الشمالية والغربية، وهدمها وأدخلها في ساحة المسجد فتضاعفت مساحة المسجد، وقد استغرقت أعماله ثلاث سنين من عام 137هـ إلى 140هـ. ويقال: إن أول مآذن الحرم المكي بنيت في عهده.**

**ثم زاد في المسجد الحرام الخليفة العباسي المهدي مرتين ( 160و 164هـ) وكانت الكعبة في جانب المسجد فأحب أن تكون في الوسط، فاشترى دورأ لتكون الكعبة متوسطة فيما حولها، وعمر المسجد الحرام، ودعم بناءه بأعمدة الرخام، وأنفق أموالاً عظيمة (قرابة 4.5 مليون دينار ذهبي) وكانت عمارته هذه من المتانة بحيث تحملت عوامل الزمن لمدة ناهزت ثمانية قرون، وقد بلغت مساحة الحرم في عهد المهدي 30240متراً مربعاً.**

**وفي عام 281هـ أمر الخليفة المعتضد بضم دار الندوة إلى المسجد، وأن يعمر المسجد بالأساطين والطاقات والأروقة المسقفة بالساج المزخرف كما فتح في جدار المسجد اثني عشر باباً بعقود ستة كبار، وبينهم ست صغار، وبنى منارة.**

**وفي عام 306هـ أمر الخليفة جعفر المقتدر أن تضم دارا زبيدة زوجة هارون الرشيد إلى مساحة المسجد، وبهذه الزيادة انتهت مساحة المسجد إلى ما يعرف في أيامنا الحاضرة بصحن الطواف الحالي.**

**وفي عام 736 هـ تم بأمر الناصر محمد بن قلاوون تعمير الأساطين التي حول المطاف في المسجد، فجعل بعضها من حجارة منحوتة بدقة، وبعضها من الأجر المجصص، ووضع بين كل أسطوانتين عارضة من الخشب لتعلق فيها القناديل.**

**وفي عام 802هـ حدث بأحد رباطات المسجد حريق دمرّ بعض سقف المسجد وأروقته، فتم تغيير الأسطوانات القديمة واستبدلت بأخرى جديدة من جبال مكة.**

**ثم لما جاء العثمانيون تعاقب خلفاؤهم على ترميم المسجد الحرام والعناية به.**

**ففي عام 979هـ أمر السلطان سليم ببناء المسجد بكامله بناءً محكماً، وأن يجعل سقف جميعه قباباً عوضاً عن الأخشاب، وقد استكمل هذا العمل السطان مراد الثالث، وفي عام 1003هـ أمر السلطان بجعل حجارة المطاف من المرمر.**

**وفي عام 1039هـ أمر السلطان مراد الرابع بإعادة بناء المسجد من جديد بعد تأثره بمطر وسيول شديدة. وفي عام 1259هـ أهدت والدة السلطان عبد الحميد الثاني للمسجد الحرام سته أعمدة، في رأس كل عمود نخلة من معدن أصفر تناط بفروعها المدلاة ستة قناديل وقد وزعت في أنحاء المسجد.**

**وفي عام 1266هـ، وبأمر من السلطان عبد المجيد الثاني أجريت إصلاحات عامة في المسحد، ورصفت الردهة الداخلية لباب السلام بالمرمر.**

**وفي عام 1301هـ أزيل الحاجز الذي كان يفصل بين الرجال والنساء أثناء الصلاة.**

**ويذكر المؤرخون للمسجد الحرام أن عدد أسطوانات الحرم الرخامية بلغ بعد بناء السلطان سليم العثماني ثلاثمائة وسبعون عمواداً، وعدد القباب مائة واثنان وخمسون قبة، وعدد الأبواب ستة وعشرون باباً موزعة على الجهات الأربع.**

**منبر المسجد الحرام:**

**وأول من أحدث المنبر في المسجد الحرام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وكان على ثلاث درجات، وبقي علىذلك إلى أن حج هارون الرشيد فأهدى للمسجد منبراً منقوشاً عظيماً في تسع درجات، ثم أمر الواثق العباسي بعمل منبر بمكة وآخر بمنى وثالث بعرفة. واستمر صنع الخلفاء للمنابر النفيسة من الخشب للمسجد الحرام إلى أن كان عهد السلطان سليمان بن سليم الثاني فبعث بمنبر من الرخام المرمر البراق الناصع البياض يصل ارتفاعه إلىحوال اثني عشر مترا.**

**منارات الحرم:**

**أما منارات الحرم فإن أبا جعفر المنصور بنى أول منارة على باب العمرة، ثم جاء ابنه المهدي فأنشأ ثلاث مآذن فصارت أربعاً، ثم ضم إليها المعتضد العباسي منارة خامسة، ثم أضاف السلطان قايتباي من ملوك المماليك سادسة. ثم في عهد السلطان سليمان بن سليم أضيفت منارة سابعة، ثم بعد الزيادة الأخيرة في أيامنا بلغت منارات الحرم المكي تسعاً في غاية الروعة والجمال يصل ارتفاعها إلى 89 متراً.**

**إنارة المسجد الحرام:**

**وابتداء من عهد معاوية أخذت القناديل تزهر في الحرم ثم لا زالت في ازدياد مع مرور الزمن وتوسع المسجد وتعاقب المهتمين بذلك حتى بلغ عددها عام 1335هـ ألفاً ومئتين واثنين وعشرين قنديلاً، ثم أنير المسجد بالكهرباء للمرة الأولى عام 1354هـ ومنذ ذلك الحين وإنارة المسجد الحرام مثار إعجاب ومضرب مثل في شدتها وجمالها وتوزيعها.**

**وفي عام 1345هـ بلغ عدد الحجاج قرابة 400ألف وهو عدد مهول في حينه مما دفع حكومة الملك عبد العزيز بن سعود رحمه الله إلىالشروع في التوسعة السعودية الأولى عام 1375هـ باضافة دور علوي للمطاف والمسعى مع تجديد الحوائط والأروقة والأعمدة والسقف والنوافذ والأبواب، وإعادة نقوشها وزخرقتها، وزيادة الأروقة، وإعادة بناء سبع منارات رائعة التصميم حول المسجد، فبلغت مساحة الحرم 193000 متر مربع، وأما التكلفة فبلغت 180 مليون ريال سعودي، واستمرت نحو ست سنين، ونفذت على ثلاث مراحل.**

**وفي عام 1409هـ بوشر في التوسعة السعودية الأخيرة والتي لم يشهد لها تاريخ المسجد الحرام من قبل مثيلاً سعةً وفخامة واتقاناً.**

**فقد أصبحت مساحة المسجد بعدها مع الأسطح وكامل الساحات 328.000 متر مربع تتسع لحوالي مليون مصل في المواسم، وتشمل إضافة مئذنتين (89م) واستحداث أنظمة جديدة في السلالم المتحركة وتوزيع شبكة الصوت والإنارة وجميع الخدمات الخاصة بضيوف الرحمن مما سيبقى خالداً في سجل الذين قاموا به إلى يوم الدين. فهذه التوسعة والإضافات والتجديدات فيها تحتاج إلى سفر خاص وكتاب كامل... إنها بحق مفخرة من مفاخر المملكة سعودية.**

**ولا بد من الاعتذار أخيراً عن تجاوز كثير من المعلومات المتعلقة بالحرم المكي ... الذي هو في الحقيقة سجل كامل للتاريخ الإسلامي.**